بين الصحف والمجلات

كلمة المنار حول تأسيس المجمع المصري للثقافة العلمية

تأسس والمجمع المصري للثقافة العلمية ، بجهد فئة من شباب مصر الناهض وتحددت اغراضه تحديداً روعي فيه أن يكون مفهوما على قدر مايستطيع أطفال السنين الاولى من التعليم الأولى فى المدارس أن يفهموا من اللغة العربية فى بساطة وبيان . ومع كل هذا فقد استبان لنا أن الذين وضعوا دستور المجمع قد اخطأوا التقدير . ذلك لان السيد محمد رشيد رضا ، حامي حمى الاسلام والمسلمين ، لم يستطع أن يفهم معنى الجمل العربية التى حددت بها اغراض المجمع . وهنا تبادر الى أنهم لم يعملوا حساباً لمقدار ماتتسع له عقلية الشيخ رشيد رضا من الفهم . تأكدت من هذا بعد أن أطلعت فى المنار على الكلمة الآتية

« استغربنا تأليف ادارة المقطم والمقتطف لهذا المجمع من الدكاترة الكرام وبعض الملاحدة المفسدين للاديان والآداب الذين جبر بعضهم بالدعوة الى الالحاد ، ولاسيما الطعن فى الاسلام ، الى افساد الآداب الدينية والمدنية بمايسميه الادب المكشوف . وأما الاطباء فالخدمة التامة الخاصة بهم ، موضوعها حفظ ابدان البشر من الامراض ومعالجة مايعرض لها منها . ويقل فيهم من يجد وقتاً للعناية بالثقافة التى هى موضوع هذا المجمع ان كان مستعداً لها من قبل »

« وكان يجب أن يكون أكثر أعضاء هذا المجمع من كبار المدرسين فى المدارس العالية ومنها الأزهر الشريف ، ومن كبار الكتاب المحررين والعلماء المؤلفين للكتب النافعة ، وان يكون فيها من يمثل الجمعيات الأدبية والاخلاقية ومنها جمعيتا الشبان المسلمين والشبان المسيحيين »

« ولا يعقل أن تبحث اللجنة المؤسسة لهذا المجمع عن عقائد من تعرف فيهم الصفات المؤهلة له وتشترط فيها شيئاً . ولكن يجب أن لا تقبل من يكون داعية للالحاد والفوضى الاباحية فى الآداب ، مشهوراً بالطعن فى رجال الدين ، ولا يكون معروفاً عنه أنه يعنى بالثقافة العلمية نسخ الثقافة الدينية وإقامتها مقامها »

« ولا يكفي في تأمين المتدينين على أديانهم ان يشترط في خطب المؤتمر عدم التعرض فيها للسياسة والدين ، فان أشد المتعرضين للدين وقاحة وطعنا يدعي عدم التعرض له »

« ثم ان المقاصد التي ذكرت في البيان جملة مبهمة وحاصلة بدون تأليف مجمع خاص لأجلها ، الا مسألة المؤتمر ، وهي مسألة قد سبقت جمعية الرابطة الشرقية الى درسه والسعي لها ، فما معنى افتئات هؤلاء عليها فيه ؟ ولماذا لم يشتركوا معها في سعيها ، حتى إذا ما اجتمع المؤتمر اقترح عليه تأسيس المجمع اللغوي الأدبي المطلوب ، ان لم تسبق الى تأسيسه الحكومة المصرية ؟ وكذلك الرابطة بين رجال هي من موضوعها الخ الخ

ولست أدري أية علاقة تقوم بين « الملاحدة المفسدين » وبين خدمة العلم « باللغة العربية » ؟ فهمنا يا أستاذ ما هي العلاقة ؟ بل فهمنا يا أستاذ ما هي العلاقة بين أغراض المجمع وبين جمعية الرابطة الشرقية ؟ بل وعرفنا ما هي العلاقة بين أغراض المجمع والأزهر الشريف عليه وعليك السلام ، والرحمة والتحية والاكرام ؟

ياسيدي الاستاذ : إن اللورد لستر كان ملحداً ، فاذا بليت بخراج فلا تستعمل المطهرات وعلى الأخص صبغة اليود في العملية نبذاً لالحاده . و باستور كان كافراً لعيناً فاذا انتشرت الحمى التيفودية أو الطاعون بشكل وبائي فخالط المرضى انتقاماً من ميكروبات باستور ، واحتجاجاً على كفره . وأديسون ملحد ، فاوقد بيتك بالمسارج المهينة بدل المصابيح الكهربائية ، ابتعاداً عن تجديفه . وجوتنبرج كان منكراً للالوهية فاكتب بحلتك على الرقوق والخزف بدل طبعها في مطبعة ، احتجاجاً على انكاره . وكرمبتون مصلح الانوال كان مفسداً للاديان ، فاكتسي باوراق الأشجار وجلود العجول التي توافق مزاجك هرباً من افساده للاديان

ياسيدي الأستاذ : إن عمامتك التي تلبسها فوق رأسك من صنع كفرة ملاحدة . وهم قوم يعيشون في بلاد يقال إن اسمها كان النمسا ، وغضب الله عليها فهزم أهلها في حرب وقعت وراء جبل قاف . فالق بالعمامة في الارض ، وضع بدلها لفافة من وبر الابل المقوى بالزنجفر والشمع البلدي ، بدل أن تسوم نفسك الخسف في الآخرة بالترويج لبضاعة الكفرة الملاحدة أعداء الله والملة .

ياسيدي الأستاذ : هذا خطاب من نوع ما كتبت ضد المجمع المصري للثقافة « العلمية » — العلمية ياأستاذ — فاذا استطعت أن تنفذ شيئاً واحداً من هذا ، أو اذا استطعت أن تثبت أن في هذه المطاليب المتواضعة التي يكسبك تنفيذها مدح الخلائق

فى الدنيا ، والجنة بولدانها المخلدين فى الآخرة ، شيئاً من التطرف أو الالحاد أو إبطال الاديان أو إفساد الآداب ، فأنا الزعيم لك بأن نعلن جميعاً عن الغاء المجمع المصرى للثقافة العلمية — العلمية يا أستاذ — نزولا على ارادتك وابتغاء مرضاتك .

ياسيدى الأستاذ : إنك لاتتكلم فيما بعد الطبيعة ، ولا فى ماهو فوق العقل ، ولا فى ما هو تحت الشعور ، ولا فى ماهو من منتوج العقل الباطن . انك ياسيدى انما تتكلم فيما هو من « وراء العقل » ومادام الأمر كذلك فلك العذر والسلام .

ooo

(٢) جريدة البلاغ — العدد ٢١٣٨ الصادر فى ١٦ ابريل سنة ١٩٣٠ عن مقال بعنوان حقوق المؤلفين فى مصر بامضاء محمد لطفى جمعه

جاء فى هذا العدد مايلى — :

حقا أقول وا أسفاه على ماصرفه المؤلف فى التأليف من علم ووقت ومال وآمال فكم اقتضى من الجهد حتى وصل إلى هذه الدرجة ، التفكير فالمطالعة فالتأليف تسويداً وتبييضاً ، ثم انه أخذ يؤمل من وراء هذا التعب المضنى أجرا على عمله وفائدة محققة ، ولكنه عند مايغادر منزله ليعرض هذا الكتاب على الطابعين والناشرين يلقى نفسه بين براثن جماعة من الذئاب اتخذت ثياب الخلان وزينت مكاتبها بمختلف الصور البهجة ، ولكنهم فى الحقيقة قطاع طريق ومحتالون وهم فى ذلك سواء المصرى والشرقى والاجنبى فبعضهم يشترى الكتاب بحساب الملزمة وبعضهم يعطى مقابل حقوق التأليف عددا من النسخ يقدمها المؤلف هدية لاصدقائه وكلهم يضمرون السرقة ، وقد علمت أخيرا أن مؤلفا مصريا تائها يتقن تأليف القصص القصيرة ، باع كتابه لناشر مصرى مقابل مائتى نسخة من الكتاب نفسه ، ولست أعلم ماذا يمسك المؤلفين عن رفع دعاواهم إلى القضاء العادل ، فقد سمعت مرة أن ناشرا شهيرا اقترض الآن أعطى مؤلفاً شيكا على بنك ليس له به نقود ، أما المؤلفين الذين ملوا الطلب فتركوا عوضهم على الله وأعرضوا عن الناشرين والطابعين فلا يعلم عددهم إلا خالق السموات والأرض .

« وقد حدثت حوادث مضحكة . فان خطاطاً شهيراً اتفق على طبع بضعة آلاف من كراساته التى تحتوى على مشوق ونماذج من خطه ، مع أحد أصحاب المطابع المشهورين من بنى جنسه فطبع صاحب المطبعة عشرات الألوف من تلك الكراسات ومازال يبيع منها منذ عشرين عاماً إلى الآن ... والطبعة الأولى لاتنفد »

« ومن ذلك أنك تجد كتابك المطبوع فى مطبعة كذا بين جميع الأيدى وتصلك

خطابات ثناء عليه من أنحاء العالم العربي ، مما يدل على انتشار الكتاب ، ثم تذهب لمحاسبة ناشرك العزيز فيقدم لك حساباً بأنه باع ثلاث نسخ في مدة عام ، وأن العلم كاسد ، والأدب ليس له في هذا البلد سوق ، وأنه هو أشد منك خسارة ، لأنه تكبد نفقات الورق والطبع والاعلان عن الكتاب ، أما أنت فلم تخسر شيئاً .. وفي الوقت نفسه تتراكم ألوف الجنيهات في خزانة ذلك المجرم ، وكل الناس يعرفون حقيقته ويقفون على مصدر ثروته ولكنهم يلجأون اليه . . . لانه أفضل من سواه . . . وهذا حق لانه يوجد تفاضل بين اللصوص فقد يرضى أحدهم بنشل مالك ويشلح ثيابك والثالث يفعل الجريمتين ويقتلك ... »

هذا ما يكتبه رجل محام مفروض فيه أنه أكثر شعوراً بالمسئولية وأعرف بآداب المناقشة والخطاب . ولو أنه كان غير محام إذن لاحتملنا أن يقول فينا أننا ذئاب وأشد من الذئاب نهماً ، واننا محتالون وقطاع طريق ، إلى آخر تلك الالفاظ التي لاتصدر إلا من رجل لم يعرف الأدب ولم يذق طعم التربية ، ولم يشعر في حياته بماذا يجب أن تحترم كرامة الاسر والأفراد . ولكن الذي يتكلم محام معروف . لهذا وجب علينا أن نناقشه الحساب ، وأن نرد اليه هذا القول ، لاسباً علنياً كما اقتضت آدابه ، ولكن مناقشة هادئة .

أظن أن الاستاذ يعرف أن من بين هؤلاء الناشرين الذين سبهم جملة من خدمه في نشر كتب ادعاها لنفسه مع أنها مترجمة سرقة وسطواً على كتاب الغرب . وآخر مانذكره من هذا القبيل كتاب فلاسفة العرب الذي سطى فيه على المؤلف الالماني « دي بور » وغيره من مؤلفي فرنسا واخرج الكتاب مغلطاً حتى في الاسماء . فاذا نقل عن الافرنج سمى ابن ميمون «ميمونيدس» كما ينطقه الافرنج ، وإن نقل عن العرب سماه بن ميمون والمسمى واحد بالضرورة ، ثم يخلط بعد ذلك فتارة يقول بن سعديا فقط ، وأخرى بن سعدية الفيومي ، وثالثة سعدية ، والعرب يسمونه تخصيصا بن سعديا الفيومي . وقد نشر هذا الكتاب ناشر من الذئاب الذين يرميهم الاستاذ بهذه النعوت بغياً وإثماً .

فاذا ذكر الاستاذ طمع بعض الناشرين فلماذا لايذكر بجانب هذا فضل بعض المؤلفين أو أكثر المؤلفين . ولماذا لايذكر أن سوق القراءة تأثم نوم أهل الكهف لا باعتراف الناشرين وحدهم ، بل باعتراف المؤلفين الذين ينشرون كتبهم بأنفسهم

والذي أذكره قبل أن أكون ناشراً أني نشرت كتباً أخرى فاحتككت بالناشرين فما وجدت منهم إلا حسن المعاملة والصدق والامانة التامة . ولقد بعت للاستاذ

الياس انطون الياس كتاباً بمبلغ لم يبع به مؤلف كتاباً من قبل . فكان مثال الشهامة والشرف وصدق الوعد .

أما الكاتب القصصي الذي يعنيه في كلمته فالاستاذ طاهر لاشين . وأما الناشر فهو صاحب دار العصور ومحرر العصور . وأظن أن الأستاذ الكاتب يعرف الطرفين حق المعرفة. فضربه المثل بهذا بغي وإثم كبير ، بل وتحامل لانعرف له أصلا ولاسبباً هذا إذا عرف أني لم أساوم الاستاذ لاشين ، وإني لعلى استعداد لأن أعطي الاستاذ جمعه جميع الكتاب إذا دفع نفقاته الاصلية فقط وليكن ذئباً لصاً قاتلا مع الناشرين . بدل أن يحسدهم وهو على الحياد .

***

(٣) جريدة السياسة — العدد ٢٢٩٣ الصادر في ١٨ مارس سنة ١٩٣٠ من مقال بعنوان حضرشيوعية مصرية تصدر في عهد وزارة الوفد — والعدد ٢٢٩٦ الصادر في ٢١ مارس سنة ١٩٣٠ من مقال بعنوان عودة الدعوة الشيوعية الى الظهور : مصالح العمال والفلاحين لاتخدم بهذا الطريق الخطر .

شرعت جريدة السياسة التي تبرأ كثير من أعضاء الاحرار الدستوريين منها ومن بهتانها ومن سخفها العظيم ، تحمل حملة كبيرة على مانخيات من وجود حركة شيوعية في البلاد فاخذت تهرف في مقالات افتتاحية بما لايخرج عن هذيان المحمومين أو تخبط الممسوسين. ولانريد أن نبد بالرد على أترهات ذلك الكاتب الذي يسود وجه السياسة بما يسود قبل أن نورد للقارىء شيئا من هذيانه وضروباً من بهتانه لنكون اذا ناقشناه والقراء على بينة من أمره :

« وقد لوحظ في الاشهر الاخيرة فقط ظهور دعوة جديدة ، تبدو أحياناً باسم الدفاع عن العمال ، ومقاومة الرأسمالية ثم ظهرت الصحيفة الاشتراكية المشار اليها ، وظهرت في نفس الوقت الى جانبها صحيفة أسبوعية أخرى تحت ستار ملحق أسبوعي لمجلة العصور ، وهذه وتلك تعملان على بث الدعوة الاشتراكية باسم الدفاع عن العمال والفلاحين . ومهما كانت الاعذار والصيغ التي يتوارى وراءها أصحاب هذه الدعوة فلاريب أنها ناحية من الدعوة الشيوعية التي تحرمها قوانين البلاد ، ومهما حسنت نيات أولئك الدعاة والكتاب ، فلاريب أنهم يقومون بدعوة خطرة لا يمكن الاغضاء عنها ، خصوصاً وأن منهم بعض من عرف عنهم الاتصال القوي بالدولية الشيوعية وقد حكم عليهم القضاء من قبل بتهمة بث الشيوعية في البلاد . هذا الى أن الاقدام

على إصدار مثل هذه الصحف الاشتراكية ، وهى بطبيعة الموضوعات التى تعالجها ليست من الصحف التى يقبل الجمهور على تداولها ، ثم هى مع ذلك تقتضى تضحيات مالية خصوصاً اذا لاحظنا حجم الجريدتين المشار اليهما وإتقان طبعهما مما يدل على استعداد خاص لاصدارهما — نقول أن الاقدام على إصدار مثل هذه الصحف التى لاتروج بين الجمهور ولاتعوض عن نفقاتها ، وحده كاف للتساؤل عن الباعث على هذا النشاط فى إذاعة مثل هذه الدعوة على تحمل هذه التضحيات التى لاطائل تحتها وتخصيصها لهذا الميدان وحده . »

ونحن لانريد أن نعجل بسوء الظن أو الاتهام ولانريد أن نفترض أن لاصحاب هذه الدعوة ومصدرى هذه الصحف علاقة ما بموسكو والدولية الشيوعية ، ولا أن نفترض أن هذه الصحف التى تصدر باستعداد خاص . ويشترك فى تحريرها بعض من لهم صلات قوية بالبلاشفة تغذيها وتمدها جهات أجنبية . لانريد أن نفترض شيئاً من ذلك . فقد يكفل المستقبل القريب كشف الحقائق . ولكنا نريد أن نتوجه اليوم الى وزارة الوفد بشىء من الاستفهام والتساؤل . لأن هذه الدعوة لم تنظم إلا فى عهدها ولأنها هى التى أذنت باصدار الصحيفة الشيوعية المشار اليها .

ثم قال :

« فى الانباء المحلية الاخيرة أن السلطات المختصة قد ضبطت جماعة من الشبان يشتغلون باذاعة الدعوة الشيوعية ، ويجتمعون لأجل هذه الغاية سراً فى منزل أحدهم ، وضبطت كذلك أوراق كثيرة لاتزال رهن البحث والتحقيق . غير أن الذى اقتنعت به السلطات منذ الآن هو أن زعيم هذه الجماعة . وهو فتى أرمنى كان يشتغل بهذا العمل منذ مدة طويلة . وكانت ترقب حركاته وسكناته . وتعتزم نفيه وتطهير البلاد من شره لولا أنها كانت تفضل الحصول على الادلة الحاسمة حتى لايصبغ تصرفها بالتسرع والعسف . وها قد ضبط الداعى متلبسا بجريمته وضبط شركاؤه وقت اجتماعهم سراً . وتذكر أن هذه ليست بأول مرة خلال الاعوام الأخيرة تقع فيها السلطات على مثل هذه الجمعيات السرية التى تحاول بث الدعوة الشيوعية فى البلاد ، بل لقد استطاعت ادارة الامن العام أن تضبط الى اليوم عدة محاولات من هذا النوع وكانت موفقة فى كل مرة ، تقع على الجناة الحقيقيين ، وتفاجئهم فى دور التحضير ، وتضبط نشراتهم وأوراقهم قبل تمام الأهبة وتتخذ مايجب اتخاذه لصون الامن من عدة واجراءات »

ومنذ أيام قلائل فقط لفتنا نظر الحكومة الى ظهور الدعوة الشيوعية فوق صفحات بعض الجرائد المحلية ، ولفتنا نظرها بالاخص الى صحيفتين بعينهما هما جريدة تسمى « روح العصر » وهى كما تصف نفسها « اشتراكية سياسية » وملحق « العصور » الاسبوعى ، وهو الذى يزعم انه ينطق بلسان الفلاح المصرى ، ونبهناها الى أن هاتين الجريدتين والاولى منهما بنوع خاص تخصصان أنهرهما لمباحث اشتراكية وشيوعية محضة ، وتستعملان الاساليب الاشتراكية والشيوعية صراحة ، وتقفان كل نشاطهما على شرح المبادىء الاشتراكية والشيوعية وتاريخ الدعوات الثورية ، وتراجم الدعاة ونضال الطوائف ، وكفاح رأس المال والعمل ، وغير ذلك مما تنفرد به الصحف الشيوعية عادة ، وقلنا لها بوجه خاص عن السر فى صدور هذا النوع من الصحف فى عهد الوزارة الوفدية دون غيرها ، وعما اذا لم تكن الوزارة قد ذكرت ، وهى تصدر الاذن بظهور هذه الصحف . إن الدستور صريح فى حرمانها من الحرية التى كفلها للصحافة . ولم نرد أن نذهب فى ميدان الحدس والظنون حتى ننتظر بإيضاح رسمى أو شبيه به عن حقيقة هذا الامر . غير أننا لم نظفر الى الآن بمثل هذا الايضاح ، ولم تفصح الجهات المختصة عن حقيقة موقفها إزاء الاذن باصدار صحف تدعو صراحة الى الشيوعية ، ولم تشر الصحف التى تنطق باسم الوزارة الى ذلك بشىء .

« ومن الغريب أن تقع السلطات فى نفس الوقت الذى ظهرت فيه الصحيفة الشيوعية المذكورة وزميلتها التى تجاريها فى نشاطها ، على محاولة جديدة لبث الدعوة الشيوعية فى البلاد ، وان تضبط نحو عشرة من الدعاة يشتغلون سراً بمهمتهم الخطرة على النحو الذى قدمناه . »

« هذه المصادفة الغريبة تدعونا اليوم الى العود إلى التساؤل الذى تقدمنا به من قبل الى الوزارة والى طلب الايضاح . وتدعونا الى الريب فى أمر هذه الصحف . ومع أننا لانزال نؤثر عدم التسرع فى الغرض والاستنتاج ، وتفسير هذا الاتفاق بما يتبادر الى الذهن لأول وهلة من أن هنالك صلة بين ضبط الدعاة ، وصدور الصحف الشيوعية ، ومن ان هنالك صلة بينهما وبين الجهات التى تعنى فى الخارج ببث الدعوة الشيوعية فى مصر وغيرها من البلاد الشرقية ، فاننا نعتقد أن الواجب يقضى على الجهات المختصة بزيادة البحث والتحرى ، ويقضى عليها بالاخص بالتحقق من نيات أولئك الذين اختاروا بث الدعوة الشيوعية ميداناً لنشاطهم وأقلامهم دون غيره ، ثم نرى فوق ذلك أن تراجع السلطة المختصة نفسها فى مسألة الاذن بصدور الصحف الشيوعية ، وأن تراجع نص الدستور فى هذا الشأن اذا كان قد نسيت ان تنتبه اليه »

، هذا من جهة . ومن جهة أخرى فانا لا ندرى ماهى حكمة هذا النشاط الخطر الذى يبديه بعض المفتونين وذرو النيات والمشاريع المريبة فى اتخاذ قضية العمال والفلاحين فى هذه البلاد ستارا لبث بذور الدعوة الشيوعية فى البلاد . ولعل أولئك الدعاة يرون اليوم الافق صالحا لنفث سمومهم مادامت الأزمة المالية تخنق كل الطبقات الفقيرة بوجه خاص،ولهذا كان واجب السلطات أن تضاعف السهر على حركاتهم ونشاطهم . على أن الذى نريد ان يعرفه هؤلاء المحرضون العابثون بسكينة الطوائف أن قضية العمال والفلاحين لاتخدم من طريقهم الخطر ، وانما تخدم من طريق العمل المستنير الهادىء . وهذا ما لم تفعله الحكومات السابقة ، وبالأخص الوزارة المحمدية . ففى عهدها وضعت مشروعات واسعة النطاق لتحسين أحوال العمال والفلاحين ، وبدىء بتنفيذ أول هذه المشروعات بوضع الحجر الأساسى لمساكن العمال . كذلك أعد فى عهد الوزارة المحمدية مشروع المستشفيات القروية ، ومشروع ردم البرك ومشروع امداد القرى بماء الشرب الصحى ، وقطعت فى سبيل تنفيذ هذه المشروعات خطوات واسعة . ويسرنا أن تمضى وزارة الوفد فى تنفيذ ما بدأته الوزارة المحمدية فى هذا السبيل ،

والذى نعرفه أن كاتب هذه السطور محرر من الطبقة الثالثة وفى جريدة السياسة قيل لنا أن اسمه عبدالله عنان ، وانه استاذ ، ومع الأسف أنا لانعرف أية منطقة من مناطق « الاستاذية » التى قسم بها مدلول هذه اللفظة فى مصر تحتل ، وأنه سطى على بعض مؤلفى الغرب فترجم كتبهم وادعاها لنفسه وكتب عليها « النقل محظور بالمرة » فانه ليس بناقل وكأن ليس للسارق على الناقل حق يدعيه . وآخر ماسيظهر من سرقاته كتاب « تاريخ التفتيش » وهو كتاب ألف فى أمريكا وأعلن عنه فى مجلاتها وجرائدها وعلى الاخص مجلة « هاربار » Harper تحت عنوان — The Story of the Mquisition — ولقد أعلن الاستاذ عن قرب صدور الكتاب فى جريدة السياسة الاسبوعية على الاخص ، وذكر أيضا ان « النقل محظور بالمرة » وأعلن انه على بصور هى بالضرورة منقولة عن الأصل تماما . ولا ندرى ماذا يمكن أن يسمى الاستاذ عنان هذا السطو الادبى . أيسميه ترجمة بتصرف ؟ أم نقلا ؟ أم سرقة ؟ أم سطوا ؟ أم اشتراكية فى الافكار ؟ أم شيوعية فى الغارة على آثار الغير ؟ ولكنه مع الاسف يسميه تأليفا فيدعى ملكية مايسرق . ومع كل

هذا يدعى انه ليس بشيوعى ويخلق من مخيلته حركة شيوعية يحاربها وشيوعيين يدعو الحكومة الى أخذهم بالأناة والاذقان .

هذه هى شخصية الذى يدافع عن النظام فى البلاد . وإذن فهو فى ادعائه هذا غير مخلص . لانى لاأعرف ماهو الفرق بين رجل يجيز الشيوعية فى الآثار الادبية بل ويمارسها فعلا وعلنا من غير ما خشية من ضمير أو تعنيف نفسى أو لوم . بل وفى جرأة لم يسبقه اليها أحد من أمثاله لصوص الأدب والعلم والافكار ، وبين رجل يدعو الى الشيوعية فى الاموال والملكية ؟ ولكن ماذا يهم هذا الكاتب « الارتوازى » الذى يحفر وراء الفكرة على بعد ألف قدم فى كتب غيره ليدعيها لنفسه ـ اذا مات فلاح مصر مادام لديه ثروة من كتب الاوربيين لاتنقد ونبعا من معاجم اللغة والعلم لاينضب ينقلها الى العربية نقلا ، فيكفى هذا أن تصبح له ملكا حلالا ؟

انى لا أحاول الدفاع عن غيرى ، بل ادافع عن نفسى . فاصحاب جريدة « روح العصر » كتاب يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم . كما انى لست من مذهبهم ، وأرجح أنهم ليسوا من مذهبى فى شىء ازاء الاصلاح الاجتماعى . بل الذى أريد أن أسأل فيه هذا الكاتب ـ الارتوازى ـ أن يبين من أين انى لعله أن العصور ـــ شهرية أم أسبوعية ـــ تناصر مذهب الشيوعية ؟ أى دليل لديه أن العصور تعمل على احداث قلق اجتماعى أساسه الفلاح ؟ ومن أين يعلم أن لى صلة بشيوعية موسكو ؟ وعلى أى برهان بنى حكمه على أن بينى وبين شيوعيى الارض صلة ؟ ومن أين أتى له أن شيوعية موسكو تمدنا بالمال ؟ . . . هذا الهذيان وأمثاله مما يجرى به قلم الكاتب ـــ الارتوازى ـــ هو الذى حفزنا على أن نكتب هذه الكلمات ، لالنناقشه ، ولكن لنقول له أن حزب الفلاح الذى ندعو الى تأسيسه حزب اجتماعى اصلاحى صرف ، بعيد عن فكرة الاشتراكية او الشيوعية ، وان هذه الخيالات المذهبية لاتؤمن بها ، بل تؤمن أن أساس الاصلاح هو أن تتهيأ فرص الحياة لكل أفراد الجماعة على التساوى بينهم ، فاذا استطاع أن يفهم هذه النظرية فانا نناقشه ، أما اذا لم يفهمها ، فأى سبيل لنا اليه ؟

(٤) جريدة الأهرام — العدد ١٢٢٩٧ — ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٠ — من مقال افتتاحي بعنوان : (سطوة الالحاد على الاديان) بامضاء — محمد فريد وجدى .

الأستاذ محمد فريد وجدى بك من كبار المشتغلين بالعلم فى هذا العصر ، بل ومن الثقاة فى موضوع اختص به . لهذا رأينا ان لرأيه وزناً يجب أن يناقش وأن يبحث فى هوادة وتريث ، حتى نستطيع أن نخلص من المناقشة بفكرة يصح السكوت عليها والركون اليها . وأول ما يتبادر لذهن الكاتب فى هذا البحث أن يتساءل : اذا كان للالحاد على الأديان سطوة ، أفلم يكن للأديان سطوة على حرية الفكر ؟ على اننا ننقل قطعاً من مقاله لنحدد المناقشة بقدر الامكان قبل المضى فيها . قال حفظه الله .

بدأ الالحاد فى القرن السابع قبل الميلاد على يد الفيلسوف اليونانى طاليس فتلمذ له وقال برأيه رجال يعد منهم ديموكريت ولوسيب وهيراقليد وغيرهم ، وقد كان مرماهم جميعاً التدليل على قيام الوجود بنفسه مستغنياً بقواه الذاتية عن مدبر حكيم فوق عالم المادة ، فلم تقم لرأيهم قائمة بسبب شدة تمسك الناس بأديانهم وعدم تسرب الشكوك إلى صدورهم الى ذلك العهد . فانحصر تأثير هذه الفلسفة فى طائفة من ذوى العقول النزاعة الى تخطى دوائر المقررات الرسمية ،

« ثم تتابعت الأجيال ، وتطورت الآراء حتى جاء زمان أصبح الدليل فيه حاجة من حاجات العقول ، فوجد الالحاد مجالا للظهور باعتبار انه رأى علمى له حق المثول بين الآراء المتباينة ، ولم يكد يعطى هذا الحق حتى نزع الى الاعلان عن نفسه بأنه هو الرأى الوحيد الذى يوفى بحاجة العقول ، إذ يستند الى العلوم اليقينية القائمة على المشاهدة والتجربة ، وأما ما عداه فأساسه الهوى والخيال ، وما قام الدليل المحسوس على منافاته للبداهات العلمية المقررة . فنشبت بين الالحاد والدين من ذلك الحين (القرن السادس عشر) معركة فاصلة لا تزال رحاها دائرة ، استخدم فيها رجال الدين فى أول عهدهم بها ما كان لهم من سلطان على الحكومات والعامة ، فأسرفوا فى البطش بخصومهم لا بقوة الدليل ولكن بقوة الحديد والنار ، فكان ذلك شراً عليهم من جميع العوامل الموجهة اليهم . ثم تقدم الزمان وأفلتت الحكومات من سلطان رجال الدين فانحصر سلاح الدين على ما كان لديه من قوة الاقناع ،

« فى هذه الأثناء كان العلم الطبيعى يوفى ثمراته من استكشاف المجهولات ، وتخفيف الويلات ، وترقية الصناعات ، وابتكار الأدوات والآلات ، ويعمل على تجديد الحياة البشرية تجديداً رفعها عن المستوى الذى كانت فيه درجات . فشعر

الناس يفارق جسيم بين ما انتهوا اليه فى عهد الحياة الحرة ، وتحت سلطان العلوم المادية ، وبين ما كانوا عليه أيام خضوعهم لحفظة العقائد ، فانتهز الالحاد فرصة هذا الشعور الجديد وازداد تكالباً على مهاجمة الدين ، واستهتر فى مطامعه فرمى الى القضاء عليه القضاء الأخير ، وها نحن أولاء فى هـــذا الدور الخطير الذى ذكرته الاهرام وعابت على رجال الأديان التنابذ فيه .

فلو كان خطأ رجال الدين وقف عند هذا الحد لكان ، مع الاعتراف بأنه حوب كبير ، من الامور التى وقعت فيها الطوائف قديماً وحديثاً فى الاجتماع والسياسة معاً ، ولكنهم يشتركون فى أمر ليس له ضرب فى تاريخ الطوائف وهو إجماعهم فى كل مكان على إحباط ما جد فى العالم العلمى اليوم من المباحث التى ترمى الى الوقوف على حدود العالم الروحانى على أسلوب العلم الطبيعى نفســـه من المشاهدة والتجربة ، واعتبار القائمين بها من علية العلماء ، وجلة الفلاسفة والمفكرين فضوليين يشتغلون بما ليس من اختصاصهم من أمور الروح والروحانيات التى يحسبون أنفسهم من محتكريها دون غيرهم ،

« فالى أى حد ينتهى عجب القارىء اذا علم أن علوم الطبيعة والكيمياء والجغرافيا والفلك وتاريخ الأديان والتاريخ العـــام والفلسفة الخ لم تدع فى الأديان مذهباً مقرراً ، ولا أصلا مدعماً الا أوسعته نقداً على أسلوبها . ونقضته وقوفا مع مقرراتها الرسمية ، وان المبحث الوحيد الذى يصلح لأن يصد هـذا التيار المادى الجارف هو ما ثبت بجهاد أولئك الكملة من وجود عالم أرقى من عالم المادة هو المؤثر فيها ، والمصرف لقواها ، ثبوتاً حاصلا على جميع الضمانات العلمية لمقاومته لكل ما ابتكره العلم من أساليب التمحيص ووسائل النقد ، قلنا الى أى حد ينتهى عجب القارىء اذا علم أن حفظة العقائد فى كل مكان أجمعوا أمرهم على محاربة هذه الفتوحات العلمية التى اذا ثبت فى يوم من الايام انها ضلالة ، فقدت أخص العقائد فى الأديان كل أساس علمى ، وأصبحت جميع مقرراتها ما لا يمكن الدفاع عنه بأية وســـيلة من الوسائل »

ثم قال : —

« اذا كان الدينيون يعلمون من أين أتى إلى مقرراتهم الوهن ، وتطرق الى أصولهم الاختلال ، لتطلبوا الوسائل لتقوية معاقلهم الدفاعية ، واتخذوا من الاسلحة ما يمكنهم من الوقوف أمام هجمات العلم المتوالية ، ولكنهم لا يأبهون لهذا الامر ، وإن خطر ببالهم عزوه الى غير أسبابه الطبيعية ، وهم يرون ان العلم والفلسفة ينقصان من

أطرافهم كل يوم ، وان الناس يتسللون عنهم زرافات زرافات حتى لم يبق سواهم فى المجال الذى هم فيه . فابنى على ذلك ان الفلسفة المادية التهمت الطبقات المتعلمة . وأصبحت عنصراً من عناصر روح العصر الراهن تتنزل منه العادات والآداب والأخلاق ، بل والأنظمة والقوانين والمثل العليا

الذى يلوح لى ان هـذا الالحاد سيبلغ أقصى مداه فى الشرق والغرب معاً ، وسيدفع فى تياره الناس كافة ، الا أفراداً نابعوا العلم فى تطوره ، وتطوحوا معه الى أبعد مغامراته ، وهؤلاء لا يقوون على صد العالم أجمع محفوزاً بعوامل لا تغالب من مقررات الفلسفة المادية صاحبة السلطان اليوم . ولكن متى تم الغلب للالحاد ، وشمت النفوس من الرتوع فى حمأة الاباحة ، وغرقت المواهب البشرية فى قذر الحياة الحيوانية ، وانطمست معالم انعتى الانسانى فى دياجير الطبيعيات الباحتة . عادت الفطرة الانسانية التى لم تفتر فى دور من أدوار هـذه الفتنة عن الاحتجاج على هذا الاسفاف البهيمى ، فكشفت هذه الكربة ، وحولت قوى الانسان المعنوية الى اعادة النظر فى موقفها ، فوجدت بين يديها ذخراً من العلم الصحيح عن الروح وعالمها ، فأقبلت عليه اقبال اثاثه ترامت له المعالم الهادية ، وأصابت منه ما يقيمها على الصراط السوى فى حياتيها معاً .

« وعلى ذكر هذا الذخر من العـــلم تقول ان العلم الغربى دائب منذ نحو خمس وثمانين سنة فى أشخاص رجال من خيرة أبنائه فى كل أمة متعمدة على درس كل ما يتعلق بالنفس وعالمها على الاسلوب العلمى القائم على المشاهدة والتجربة . فمن أجل ما نقدمه للقارىء من الامثلة على مبلغ هذه الجهود جمعية المباحث النفسية التى يتولاها فى لندن أساتذة من كمبردج وأوكسفورد منذ سنة (١٨٨٢) وقد دونت من تجاربها وتجارب جميع المشتغلين بهذا البحث نحو خمسين مجلداً تحتوى على ثروة علمية لا تقدر ، ولم يسمح الدهر بمثلها فى عهد من عهود البشرية . ولا تزال هـذه الجمعية قائمة الى اليوم »

« ومن هذه الأمثلة المجمع العلمى للمباحث النفسية فى باريس الذى يديره جمهرة من نخبة علماء فرنسا و تدوين مباحثه فى مجلته الكبيرة المسماة مجلة المباحث النفسية .

فهاتان الجمعيتان وما أقامته الامم من أمثالها فى كل بلد متمدن تكدس من ثمرات هذه الجهود ذخائر يرجع اليها طلاب الحقيقة فيجدون فيها فوق ما كانوا يؤملون من كنونات الطبيعة الانسانية مؤسساً على أصول العلم نفسه ومحصاً بأسلوبه الصارم الدقيق

« المصور » ترجمة الرد على مقال الاستاذ فريد وجدى بالعدد القادم .